جعلناه اى بتلك العظمة حطاما اى مكسورا متفتتا لا حب فيه قبل النبات حتى يتبل
الخروج او بعده ببرد مفرط او حر مهلك او غيره لك فلا ينتفع به فظلتم اى فاقمتم
بسبب ذلك نهارا في وقت الاشتغال العظيمة وفي كل وقت وتركتم كلاما بينكم تفكهون
حذفت منه احدى التائين في الاصل تخفيفا اى تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم
وقيل تندمون على ما سلف منكم من المعاصي التي اوجبت تلك العقوبة قاله
الزمخشري ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبيناهم
اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكهون اى يتندمون وقال الكسائي التفكه
التلهف على ما فات وهو من الاضداد تقول العرب تفكهت اى تنعمت وتفكهت اى حزنت
ويقولون انا لمغرمون بحذف القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض من الغرام
وهو الهلاك ومن مجيء الغرام بمعنى الهلاك قول القائل

ان يعذب يكن غراما وان • يعط جزيلا فانه لا يبالي

وقال ابن عباس الغرام العذاب اى عذبوا بذهاب اموالهم والمعنى انا غرمنا الحب الذي
بذرناه فذهب بغير عوض ومن الغرام بمعنى العذاب قول القائل

وثقت بان الحلم منك سجية • وان فؤادك مبتلا بك مغرم

وقرأ شعبة ءانا بهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة على الاستفهام والباقون بهمزة
واحدة مكسورة على الخبر بل نحن اى خاصة محرومون اى ممنوعون رزقنا حرمنا
من الارزاق ما نقاسه فلا حظ لنا في الاكتساب فلو كان الزارع ممن له حظ لافلح زرعه
ثم ذكر تعالى لهم حجة اخرى بقوله تعالى افرأيتم الماء اى اخبروني هل رأيتم بالبصر
والبصيرة مما نبهنا عليه مما مضى في المطعم وغيره فرأيتم الماء الذي تشربون لتحيوا
به انفسكم وتسكنوا به عطشكم ذكر هو سبحانه النعمة التي انعم الله بها عليهم بانزال المطر
الذي لا يقدر عليه احد الا الله عز وجل ءانتم انزلتموه من المزن اى السحاب وهو اسم
جنس واحده مزنة قال القائل

فلا مزنة ودقت ودقها • ولا ارض ابقل ابقالها

وعن ابن عباس والثوري المزن السماء والسحاب وقال ابو زيد المزنة السحابة البيضاء
اى خاصة دون غيره ماء عذبا والجمع مزن والمزنة المطرة لو نشاء اى حال انزاله وبعده
قبل ان ينتفع به جعلناه اى بما لنا من صفة العظمة اجاجا اى ملحا مرا محرقا كانه
في الاحشاء بسبب النار المؤجج فلا يروي عطشا ولا ينبت نبتا ينتفع به وقال ابن عباس
الاجاج المالح الشديد الملوحة فلولا اى فهلا ولم لا تشكرون اى تجددون الشكر
على سبيل الاستمرار باستعمال ما افادكموه لكم من القوى في طاعة الذي اوجده لكم
ومكنكم منه ثم ذكر تعالى لهم حجة اخرى بقوله تعالى افرأيتم النار اى اخبروني
هل رأيتم بالبصر والبصيرة ما تقدم فرأيتم النار التي تورون اى تخرجون من
الشجر الاخضر ءانتم انشأتم اى اخترعتم واوجدتم واحييتم ورببتم ورفعتم
شجرتها اى التي تقدح منها النار وهي المرخ والعفار وهما شجرتان تقدح منهما
النار وهما رطبتان وقيل اراد جميع الشجر الذي يوقد به النار ام نحن اى خاصة
واكد بقوله تعالى المنشئون اى لها بما لنا التامة من قدر على ايجاد النار التي هي
ايبس ما يكون في الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها كان اقدر على
اعادة الطراوة في تراب الجسد الذي كان غضا طريا فيبس ولما كانت الجواب قطعا
انت وحدك قال تعالى دالا على ذلك تنبيها على عظم هذا الخبر نحن اى خاصة جعلناها
اى بما اقتضته عظمتنا تذكرة اى شيئا يتذكر به تذكرا عظيما جليلا كلما اخبرنا به من
البعث وعذاب النار الكبرى وما نشأ فيها من شجرة الزقوم وغير ذلك وقيل موعظة يتعظ
بها المؤمن وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم التي توقدون جزء من سبعين

جزءا من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة
وستين جزءا كلها مثلها مثل حرها ومتاعا اى بلغة ومنفعة للمقوين اى المسافرين
والمقوي النازل في ارض القوى والقوى بالكسر والقفر والمدوي القفر الخالية البعيدة من
العمران والمعنى انه ينتفع بها اهل البوادي والاسفار فان منفعتهم بها اكثر من المقيم
فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدي الضال الى غير ذلك من المنافع وقال
مجاهد المقوين اى المستمتعين بها من الناس اجمعين في الظلمة ويصطلون بها من
البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع ويتذكرون بها نار جهنم فيستجيرون
بالله تعالى منها وقال ابن زيد للجائعين في اصلاح طعامهم يقال قويت منذ كذا وكذا
اي ما اكلت شيئا قال الشاعر

واني لاختار القوى طاوي الحشا • محافظة من ان يقال لئيم

وقال قطرب المقوي من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغني
مقو لقوته على ما يريد والمعنى فيها متاعا ومنفعة للفقراء والاغنياء جميعا لا غنى لاحد
عنها وقال المهدوي الاية تصلح للجميع لان النار يحتاج اليها المسافر والمقيم والغني
والفقير ولما ذكر تعالى ما يدل على وجود وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر
الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم او كل احد من الناس بقوله تعالى فسبح اى اوقع
التنزيه المعظم عن كل شائبة نقص من ترك البعث وغيره ولا سيما بعد ما لوح
هذه الادلة باسم اي متلبسا بذكر اسم ربك اي المحسن اليك بهذا البيان الاعظم
فاسم ثم اثبتوا الف الوصل هنا في باسم لانه لم يكثر دوره كثرته في البسملة
وحذفوها منها لكثرة دورها وهو شأنهم الايجاز وتقليل الكثير اذا عرف معناه
وهذا معروف لا يجهل واثبات ما اثبته من اشكاله مما لا يكثر دليل على الحذف
منه وكذا لا تحذف الالف مع غير الباء في اسم الله ولا مع الباء في غير الجلالة الكريمة
من الاسماء وقد اوضحت ذلك في مقدمتي على البسملة والحمدلة ولما كان المقام
للعظمة قال تعالى العظيم اى الذي ملأ الاكوان كلها عظمة فلا يخلو منها الا وهو ممتلئ
بعظمته متنزها عن ان يلحقه شائبة نقص او يفوته شيء من كمال فالعظيم صفة للاسم
او للرب والاسم قيل بمعنى الذات وقيل زائد اي فسبح ربك واختلف في لا في قوله
تعالى فلا اقسم فقال اكثر المفسرين معناه فاقسم ولا صلة مؤكدة بدليل قوله
تعالى بعد ذلك وانه لقسم ومثلها في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب والتقدير ليعلم
وقال بعضهم انها حرف نفي وان المنفي بها محذوف وهو كلام الكافر الجاحد تقديره فلا
حجة لما يقول الكافر ثم ابتدأ قسما بما ذكر وضعف هذا بانه فيه حذف اسم لا وخبرها
قال ابو حيان ولا ينبغي فان القائل بذلك مثل سعيد بن جبير تلميذ حبر القرآن وترجمان
عبد الله بن عباس ويبعد ان يقول سعيد الا بتوفيق وقال بعضهم انها لام الابتداء
والاصل فلاقسم فاشبعت الفتحة فتولد منها الف كقول بعضهم اعوذ بالله من العقراب
قال الزمخشري والاصح ان تكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان تقرن
بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لافعلن في جواب القسم
للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال واختلف ايضا في معنى قوله تعالى
بمواقع النجوم فقال اكثر المفسرين بمساقطها لغروبها قال الزمخشري ولعل لله تعالى
في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة وللملائكة عبادات
موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول
الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله تعالى وانه
لقسم لو تعلمون عظيم وقال عطاء بن رباح اراد بمواقعها منازلها قال الزمخشري
وله في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقال الحسن مواقعها